الفصل الثامن

مصطلح الشرق الأوسط

من التعبير الجغرافي إلى «البديل» للأمة العربية.. والإسلامية أيضاً

طلعت رميح

رئيس تحرير جريدة الشعب، القاهرة

مصطلح الشرق الأوسط من التعبير الجغرافي إلى «البديل» للأمة العربية.. والإسلامية أيضاً

طلعت رميح(*)

تقديم:

تُعَدُّ قضية المصطلحات واحدة من أهم قضايا الصراع الحضاري في العالم؛ بأبعادها المعرفية والبحثية، وهي لا تعد فقط وسيلة من وسائل ضبط المعرفة وتحديد وتأطير للتعميمات في اللغة؛ وإنما واحدة من أهم قضايا التحيز في المعرفة، وفي التحليل الاستراتيجي والسياسي والثقافي، بل هي واحدة من أخطر وسائل سيادة الرؤى والأفكار، وتغيير الوعي بالحقائق، والانحياز لفهم دون آخر، حيث المصطلح ليس إلا تعييناً وتحديداً وتعميماً لفهم محدد في قضية من القضايا في مفهومها الواسع، فيأتي منحازاً للفهم في كل قضية ومنحازاً له.

وإذا كانت قضية المصطلحات تطرح إشكالية إهدار اللغة العربية، وتقهقر استخدامها، واحتلال اللغات الأجنبية مساحات واسعة داخل مفرداتها؛ من خلال إدخال مصطلحات أجنبية في استخداماتها، دون ترجمتها ودون بديل لها بحكم تراجع العمليات العلمية والتقنية (التكنولوجية) والبحثية في الأقطار العربية والإسلامية، وبحكم التبعية في مجالات العلم في العصر الراهن؛ فإن القضية التي نتعرض لها هنا هي جانب المصطلحات المعرفية في مجالات الأبحاث والمفهومات الأساسية والاستراتيجية، وهي الأخطر في استخداماتها؛ بالنظر إلى أنها تعيد تشكيل عقول النُّخَب المتعاملة مع قضايا المفهومات المعرفية العامة، ورسم السياسات والاستراتيجيات، وبما لذلك من خطورة بالغة على ترسيخ مفهومات حضارية في الصراع، تقوم على سيادة مفهومات الخصوم والأعداء العقائدية والاستراتيجية والسياسية والثقافية؛ بما ينعكس بضراوة عقلية على مفهومات جمهور المسلمين في العالم العربي والإسلامي، كأحد أشكال الهزيمة الحضارية، وأبرز أشكال الغزو الفكري.

إن قضية المصطلحات هي القضية الأخطر من قضية إدخال مفردات أجنبية ضمن استخدامات اللغة العربية؛ ذلك أن قضية المفردات تظل قضية واضحة المعالم ومحددة، ولا تؤثر تأثيرها التخريبي في اللغة إلا بعد عقود؛ بحكم الاتساع السكاني، وحالة الدفاع الذاتي للفرد المسلم، ولاتساع مساحة التعامل اليومي باللغة العربية، وعلى الضد من ذلك تأتي قضية «المصطلحات»؛ حيث تضيق مساحة التعامل معها في مساحات «النخب» الضيقة عدديّاً؛ بما يصل ويسارع من عمليات ترسيخها بمضامينها ومفهوماتها، وهي الفئة النشطة في تعاملاتها

(*) رئيس تحرير جريدة الشعب، القاهرة.

العقلية، والأكثر احتكاكاً بالقضايا المعرفية، والأكثر ارتباطاً بقضايا الغزو الثقافي، وكذلك بالنظر إلى خطورة الدور الذي تمارسه النخب في مجالات رسم السياسات والاستراتيجيات، وفي التأثير في الجمهور الواسع من خلال الكتابات ومجالات التعامل مع الجمهور.

والمتأمل للوضع الراهن يلحظ أن قضية ضبط مفهومات المصطلحات السياسية بالمفهوم الواسع للكلمة؛ قد باتت واحدة من أشكال الصراع الدائر حالياً بالتهاب وحميَّة، وأبرز مظاهرها بين الأمة وأعدائها مصطلح «الإرهاب»، فحول هذا المصطلح وحده تجري معركة عقائدية وفكرية وسياسية منذ أعوام، وعلى الرغم من أن المسألة في شكلها الظاهر خلاف وصراع حول «مفهوم المصطلح ومضمونه»؛ فإنها عكست تحيزاً عقائدياً وحضارياً وسياسياً لا فكاك منه، بل يمكن القول: إن الصراع حول هذا المصطلح طرحَ جملة من الاختلافات لا حدود لها بين الأمة وأعدائها وخصومها، فبينما رأت رموز الأمة ونخبها الملتزمة بمصالحها أن الإرهاب هو ما يقوم به خصومها ضدها، وبأشكال حضارية في المجالات كافة؛ حاول الخصوم والأعداء وصم الإسلام بالإرهاب، ووصم المقاومة الإسلامية والوطنية ضد الاستعمار بالإرهاب، ووصم المنظمات والتنظيمات العسكرية والسياسية بالإرهاب، وحددوا لوائح تضم دولاً ومنظمات وأفراداً متهمين بالإرهاب. وهكذا أصبح «المصطلح» عنواناً عقائدياً واستراتيجياً وسياسياً للصراع الحضاري الحادث الآن.

وإذا كانت قضية «مصطلح الإرهاب» قد فتحت كل هذا الكم من الحوار، وباتت عنواناً للاختلاف والصراع السياسي، وانفتحت من خلالها كل مفهومات «الصدام الحضاري» وتاريخه وجذوره؛ فإن «حرب المصطلحات» لها جوانب أخرى متعددة ومتنوعة بتعدد وتنوع كل مظاهر الحياة وتعقيداتها، ويُعَدُّ التوسع في الصراع حولها معياراً للتمايز واليقظة العقائدية والحضارية والاستراتيجية والسياسية والاقتصادية. . . . ففي الاقتصاد يجب أن يفتح الحوار والصراع حول مصطلح «الإصلاح الاقتصادي» الذي ليس إلا إعادة لهيكلة الاقتصادات العربية والإسلامية؛ حسب مفهومات التبعية وقوانينها للاقتصاديات الغربية، وكذلك مصطلح «الإصلاح الهيكلي».

وفي مجال العلوم الفكرية والسياسية يجب أن يفتح الحوار والصراع حول مصطلحات «العولمة» التي ليست إلا إخفاء وتعمية لعمليات «الغزو الثقافي» بكل آلياته وأدواته، ومثلها مصطلحات «الديمقراطية» بمفهومها الغربي الذي يعطي البرلمان حق الخروج على قواعد الشرع. . . . إلخ.

وإذا فتشنا في كل مجالات الحياة سنجد أن قضية المصطلحات إنما هي العنوان الذي يجب على النخب الإسلامية أن توجه جهودها نحوه؛ لإبراز الخصوصية العقائدية والحضارية، وللدفاع عن المصالح الاستراتيجية في مجالات الحياة كافة؛ بل هو عنوان بلورة هوية الأمة، والعنوان الذي يمكن عند اللجوء إليه وتحديده تحديداً دقيقاً ومستمراً؛ الإعداد لإطار علمي يقود النهضة الحقيقية.

الشرق الأوسط:

لعل مصطلح «الشرق الأوسط» هو أكثر المصطلحات التي تعكس أبعاداً حضارية واستراتيجية وسياسية، وهو التعبير الأبرز في قضية الغزو السياسي والثقافي، وفي تحويل النخب في البلاد العربية والإسلامية إلى مروج لمفهومات وتقسيمات وضعها الغرب؛ لتحقيق أخطر نفاذ في عقول الأمة وتغييباً للحقائق، فهو من ناحية يعتمد ويجسد ويعمم تقسيماً لجسد الأمة الإسلامية، ومكونها الصلب؛ بعزله جزءاً عن الأمة العربية، وعزل هذا الجزء والأجزاء الباقية عن جسد الأمة الإسلامية.

وهو من ناحية أخرى؛ يدخل الجسم الشاذ والغريب عن الأمة، والمفروض بالسلاح والقوة العسكرية على جزء من مكونها الحضاري والجغرافي والسياسي ـ فلسطين ـ؛ حيث هو مصطلح يدخل الكيان الصهيوني ضمن منظومة تضم بلاداً عربية وإسلامية أي الكيان الصهيوني.

وهو من ناحية ثالثة؛ يطرح إنهاء منظومات سياسية قائمة، ويطرح عملية استبدالها بمنظومات أخرى يكون الكيان الصهيوني جزءاً مكوناً فيها؛ إذ هو يطرح إعادة ترتيب جزء من عالمنا على جميع المستويات العقائدية والاستراتيجية والسياسية والثقافية... إلخ.

والخطورة في هذا المصطلح أنه بات معتمداً في كثير من الكتابات الاستراتيجية والسياسية لنخب عربية وإسلامية؛ بوعي أو دون وعي بخطورة استخدامه، حيث لم يعد مصطلحاً مستهجناً بل بات مصطلحاً معتمداً، والأخطر أنه بات منطلقاً لمصطلحات واستراتيجيات فعالة مثل الـ «شرق أوسطية» و «التعاون الإقليمي»، و «التوازن الإقليمي»، وغيرها.

وفي إدراك مغزى خطورة هذا المصطلح ومفهومه؛ يجب أولاً توخي المعايير التي يجري على أساسها «تقسيم العالم»؛ لنتعرض بعد ذلك إلى علاقة المصطلح بالمعايير هذه، ومكانه وسطها، ثم إلى بدايات استخدام المصطلح، والفكرة الجوهرية في المصطلح، والتغيرات التي أدخلت على مضامين استخدامه، وتحوُّله من تعبير جغرافي مستخدم في الكتابات الغربية[1] إلى مشروع متكامل لتغيير شامل في المنطقة.

وسنعرج في ذلك إلى استخدامات المصطلح في نماذج الكتابات في مصر[2] كمثال.

أولاً: معايير «تقسيم العالم» ومصطلحاته:

بنزول القرآن الكريم، وبدء البعثة المحمدية، وبناء الدولة الإسلامية؛ فإن خطاً فاصلاً قد وضع في تقسيم

---

(١) آثرنا في هذا الجانب عدم الدخول في الزوايا الأكاديمية التقليدية لإظهار التبدلات والتغييرات التي أدخلت على حدود الدول التي يشملها المصطلح، وتآكل مصطلح «الشرق الأدنى» بمصطلح «الشرق الأقصى»، والاستخدامات الأمريكية والبريطانية وللدول الأخرى بما بها من هوامش تاريخية ومتغيرات أو اختلافات حسب اختلافات المصالح والرؤى.

(٢) قصدنا في هذا الجانب، فقط، إظهار مدى انتشار المصطلح واستخدامه، دون أن نقصد بذلك الترويج للمصطلح بمضمونه المتعلق بدمج الكيان الصهيوني في المنطقة العربية والإسلامية.. أو ما شابه ذلك.

العالم، وفي حدود ما نتعرض هنا، فإن قيام الدولة الإسلامية وتوسعها، ثم استقرار حدودها في عصور الخلافة؛ وضع معياراً لتقسيم العالم يقوم على: العقيدة الإسلامية، والدولة الإسلامية، والأمة الإسلامية؛ إضافة إلى ما سواها من عقائد ودول وأمم أخرى.

وبمرور الزمن وعبر التاريخ، ومع اشتداد الحقبة الاستعمارية وتوسعها وشراستها، وما سبقها من انحدار الأمة والدولة الإسلامية؛ فإن المعايير المستخدمة لتقسيم العالم تعددت وتنوعت واختلطت؛ في إطار العصر الحديث. ومن خلال متابعة الكتابات بمختلف أنواعها، وما طرحه علم الجيوبولوتيكا، والصراعات الدولية المتعددة؛ فإن معايير تقسيم العالم التي يجري استخدامها يمكن تلخيصها وتلخيص مصطلحاتها المتداولة فيما يأتي:

١ ـ **التقسيم على أساس جغرافي**: وعلى أساسه ظهرت مصطلحات القارات، أو إعطاء تسميات مختلفة لأقاليم جغرافية في العالم ضمن القارات، كما ظهرت الدول بارتباطاتها الجغرافية المحددة.

٢ ـ **التقسيم على أساس التطور التقني (التكنولوجي)، والتقدم الاقتصادي**: وعلى أساسه ظهرت مصطلحات: «الدول المتقدمة»، و«الدول المتخلفة»، و«دول العالم الثالث»، و«دول الجنوب»، و«دول الشمال»... إلخ.

٣ ـ **التقسيم على أساس الأحلاف العسكرية**: وعلى أساسه ظهرت مصطلحات «دول حلف وارسو»، و«دول حلف الأطلنطي».. إلخ.

٤ ـ **التقسيم على أساس عقائدي، وسياسي، واقتصادي**: وعلى أساسه تم تقسيم العالم إلى «الدول الشيوعية»، أو «الدول الاشتراكية»، و «الدول الرأسمالية»، و «دول الاقتصاد الحر»، أو الدول الليبرالية «في مقابل «الدول الشمولية».

ويلاحظ هنا أن التكوين الوحيد الذي لم يُعترف بوجوده ضمن هذا التقسيم هو مصطلح «الدول الإسلامية»، أو «الأمة الإسلامية»؛ على الرغم من أنها الأسبق في تقسيم العالم بناءً على العقيدة.

ثانياً: «الشرق الأوسط» ومعايير تقسيم العالم:

بالنظر إلى المعايير والمصطلحات السابقة؛ فإن مصطلح (الشرق الأوسط) يبدو ـ من ناحية المعنى المباشر ـ تقسيماً جغرافياً، أو هو في البداية قُدِّم هكذا، غير أنه في الجوهر مصطلح يعبر عن رؤية وانحياز لمفهومات ومعايير وتقسيمات متعددة الأوجه، تصطف جميعها في مواجهة التقسيم العقائدي أو حتى التقسيم المتعلق بوجود «أمة عربية»، فهو من ناحية؛ يأتي ضمن مفهوم مناقض ينفي وجود أمة ذات عقيدة وهوية واحدة؛ ذلك أن إطلالة واحدة على الأمة الإسلامية، حتى على العرب؛ نجد أن ثمة مصطلحات متعددة تُستخدم للتعبير عن مناطقها الجغرافية والسكانية؛ بديلاً لمصطلحات «الأمة أو الدولة الإسلامية»، أو «الأمة أو الدولة العربية».

وهو من ناحية ثانية؛ يقوم في جوهره على إدخال «الكيان الصهيوني» ضمن منطقة جغرافية كلها عربية أو إسلامية، فيغير هوية هذا التقسيم من أجل إدخال هذا العنصر الغريب.

وهو من ناحية ثالثة؛ يُجَزِّئ الأمة العربية نفسها، فيقسمها بين «الشرق الأوسط» و«شمال إفريقيا»، والمثال الأشد تعبيراً عن ذلك، يظهر عند المؤسسات الغربية التي تتعامل مع هذه المنطقة كوحدة واحدة، كما هو الحال لدى البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، فإن التسمية المعتمدة هي: « الشرق الأوسط وشمال إفريقيا».

ثالثاً: مصطلح (الشرق الأوسط).. البداية:

يمكن القول بأن مصطلح «الشرق الأوسط» لم يكن يمكن استخدامه وترويجه إلا بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية في ثوبها الأخير ـ الدولة العثمانية ـ؛ ذلك أنه في ظل وجود هذا الهيكل والإطار الرسمي والمؤسسي ـ حتى مع وهنه وضعفه ـ كجامع للدول الإسلامية؛ لم يكن يمكن الحديث عن «الشرق الأوسط» داخل منظومة تقوم على وحدة عقيدة سكان الدول المنضوية تحت حكم الخلافة والدولة الإسلامية.

لقد عرفت الدولة الإسلامية عبر مراحلها تسميات تمايزت في داخلها؛ مثل بلاد فارس؛ والشام، والمغرب والمشرق، لكنها جميعاً كانت تعبيراً عن تمايزات جغرافية أو تاريخية أو عِرقية وثقافية سابقة على الإسلام، أو تعبيرات للتداول الشعبي، لكنها لم تتحول أبداً إلى تسميات هيكلية، وظل النظر إليها يأتي من خلال «المنظومة الهيكلية الإسلامية الموحدة».

وعلى الرغم من أن الدول الاستعمارية استخدمت في مراحل متقدمة ـ في كتاباتها، واستراتيجياتها ـ بعض تعبيرات تضم جسد الدولة الإسلامية؛ فإن انتشار هذه التعبيرات وتعميمها وزرعها داخل عقول نخب الأمة الإسلامية؛ لم يتم إلا بدءاً من سقوط دولة الخلافة، وفي السنوات الأخيرة بصفة خاصة؛ أي بعد اشتداد الهجمة السياسية والثقافية في ظل ما يدعى بالعولمة.

في الحرب العالمية الأولى صرح اللورد كيرزون ـ الذي شغل منصب نائب الملك في الهند قبل الحرب، ثم وزيراً للخارجية البريطانية ـ بأن «من يهيمن على الشرق الأوسط يهيمن على العالم»، ولا تبتعد تصريحات المسؤولين في أمريكا عما ذكره اللورد كيرزون.

وحتى الحرب العالمية الثانية كان يطلق على هذه المنطقة من قِبَل المحافل السياسية والجغرافية «الشرق الأدنى» لقربها من أوروبا، وفي الحرب العالمية الثانية أطلق الحلفاء اسم (الشرق الأوسط) على المنطقة العسكرية التي كان مركز قيادتها في القاهرة، وكان يقيم فيها آنذاك وزير دولة بريطاني لشؤون الشرق الأوسط اللورد موين، والذي اغتالته العصابات اليهودية في ذلك الوقت. كما كانت القاهرة مركزاً للقائد العام للقوات الحليفة في الشرق الأوسط، ومنها انتقلت إلى عدن، ومن ثَمَّ إلى قبرص.

وتستخدم حالياً وكالات الأنباء، ومؤسسات الأمم المتحدة، ووكالاتها المتخصصة هذه التسمية للدلالة على

الدول الواقعة بين أفغانستان والمغرب. ويضم لها بعضهم الباكستان وأفغانستان والسودان، وخلال الحرب العالمية الثانية كان المحيط الهندي يخضع إلى قيادة مسرح عمليات المحيط الهندي، ويتبع قيادة القوات البريطانية في الهند.

ومفهوم (الشرق الأوسط) الذي طُرِحَ بادئ الأمر بوصفه تعبيراً جغرافياً؛ قدمته الحكومة الصهيونية عام ١٩٦٧م بوصفه تصوراً متكاملاً لدول بلدان المنطقة بما فيها الكيان الصهيوني، وذلك عبر مجلد ضخم صدر في تل أبيب، وجرى توزيعه على الدوائر الدبلوماسية والإعلامية في العالم إثر نكسة حزيران / يونيو ١٩٦٧م، ليتحول مع أوائل التسعينيات إلى مشروع اقتصادي سياسي بَشَّرَ به شمعون بيريز في كتابه الصغير، وأخذت واشنطن على عاتقها تسويقه في قمم اقتصادية وغير اقتصادية؛ تستهدف من ذلك نزع الهوية العربية الإسلامية عن المنطقة، وتكريس الهيمنة الصهيونية والاستعمارية على مواردها واقتصادها.

وواقع الحال أن تحول مصطلح (الشرق الأوسط) إلى مفهوم واستراتيجية واسعة؛ يشمل إعادة ترسيم المنطقة. ونمط علاقاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والمائية؛ قد شهد دفعة كبيرة فيما بعد انتهاء الحرب على العراق (حرب الخليج الثانية). وفي إطار اتفاقات أوسلو التي لم تكن اتفاقات (فلسطينية ـ صهيونية)؛ بقدر ما كانت إعلاناً وعنواناً لإعادة ترتيب جميع أشكال العلاقات في المنطقة، فقد اقترنت تلك الاتفاقات «المباشرة» بالمفاوضات متعددة الأطراف، وبالسوق الشرق أوسطية، وبالمؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط، وبإنشاء بنك الشرق الأوسط، كما ارتبطت كذلك بقضايا التسلح في المنطقة، وامتدت لتشمل أوضاع المياه وغيرها؛ أي أنها تحولت إلى مفهوم ومضمون بديل لمفهوم الأمة العربية، واتفاقات الدفاع المشترك، والسوق العربية المشتركة.. إلخ.

وهكذا تحول مضمون المصطلح من تعبير جغرافي إلى مضمون استراتيجي لإعادة ترتيب المنطقة من جديد، وإذا كانت الشعارات الأبرز في إعادة ترتيب المنطقة قد جاءت تحت عناوين اقتصادية، إلا أن الجوهر كان ويظل هو إعادة ترتيب المنطقة على المستويات كافة، حيث ارتبطت تلك العملية بعمليات أخرى في جميع المجالات؛ منها إعادة النظر في البرامج التعليمية والثقافية والإعلامية لكي تتفق مع المفهوم الجديد، وكذا النظر في إعادة تقسيم أولويات الاهتمام والتركيز الاقتصادي (صناعيّاً وماليّاً وتجاريّاً) في المنطقة، وإعادة النظر في قضايا الاهتمام الاستراتيجي (التوازنات الإقليمية وعواملها وأبعادها).

رابعاً: مصطلح (الشرق الأوسط).. في الوقت الراهن:

من خلال متابعة الكتب والدوريات والأبحاث والدراسات السياسية والأكاديمية والعسكرية، وتصريحات المسؤولين في الدول العربية والأجنبية؛ بشأن استخدام مصطلح (الشرق الأوسط) ـ يلاحظ ما يأتي:

أولاً: أن استخدام المصطلح سابق على عملية التسوية السياسية التي بدأت بكامب ديفيد، واستمرت عبر

أوسلو وتداعياتها، حيث جرىٰ استعمال مصطلح تعبير «أزمة الشرق الأوسط» ومرادفاته بديلاً لمصطلح «الصراع العربي الصهيوني»، أو «الصراع العربي الإسرائيلي» ومرادفاته.

وإذا كنا أشرنا من قبل إلىٰ بدايته بوصفه تعبيراً جغرافياً، ثم قيام الكيان الصهيوني بالترويج له بصفة رسمية ومخططة؛ فماذا عن استخدامه من قِبَل النُّخَب العربية؟!

ـ **في مجال الكتابات الصحفية السياسية**: نجد أن الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل قد استخدم هذا التعبير في كتاباته بالأهرام، واعتمده في كتبه، وكمثال لهذا، ففي كتابه (الحل والحرب) الذي جمع فيه مقالاته المنشورة في عامي ١٩٧٦م و١٩٧٧م؛ استخدم هذا المصطلح فيهما جميعاً، ففي مقاله الأول بالكتاب بعنوان (الحديث الأول) كتب: «إلىٰ أين من هنا، إلىٰ أين تسير بنا أزمة الشرق الأوسط؟». وكتب يقول: «. . . لقد تم فيما أظن توصيف أزمة الشرق الأوسط توظيفاً كافياً، الأزمة في صميم الصميم منها هي أزمة شعب فلسطين وأرضه التي هي جغرافيا وتاريخ؛ بمثابة جسر يصل ما بين شعوب الأمة العربية وأرضها في المشرق وشعوب الأمة العربية وأرضها في المغرب». . إلخ.

ـ **في مجال كتابات العسكريين**: نجد أن محمد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي استخدم المصطلح نفسه في كتابه (أمن مصر القومي في عصر التحديات)، وإضافة إلىٰ استخدامه للمصطلح في كل الكتابات للتعبير عن الصراع العربي الصهيوني ـ أزمة الشرق الأوسط، ينقل أيضاً اعتماد السوفييت للمصطلح حيث قال: «وفي رسالة للرئيس السادات في ١٨ يناير (يقصد ١٩٧٢م) أعرب الرفيق بريجنيف عن ترحيبه بزيارتي للاتحاد السوفييتي في أقرب وقت؛ مشيراً إلىٰ أن الشرق الأوسط منطقة صِدَام بين القوىٰ التقدمية. . .»، ومما يشير أيضاً إلىٰ اعتماد البريطانيين المصطلح نفسه قوله: «ولكي تضمن بريطانيا استمرار سيطرتها علىٰ منطقة الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب؛ كان عليها أن تبحث عن أداة لهذه السيطرة تكفل لها في نفس الوقت رضاء حكومات وشعوب المنطقة وتعاونها، وتحقيق أهدافها الإمبريالية، وعلىٰ ذلك أعربت بريطانيا في عام ١٩٤٢م عن تشجيعها لضم الدول العربية الشرق أوسطية في تجمع سياسي واقتصادي، يصبح أداة تنسيق للتعاون فيما بينها في إطار التخطيط الدفاعي البريطاني (يقصد تشكيل الجامعة العربية)».

وفي مجال استخدام العسكريين للمصطلح أيضاً؛ فإن المشير محمد عبد الغني الجمسي قد اعتاده أيضاً، في مذكراته (مذكرات المشير محمد عبد الغني الجمسي. . حرب أكتوبر ١٩٧٣م).

ـ **وفي مجال الكتابات الأكاديمية**: بمراجعة الدراسات والكتب الصادرة عن مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة؛ نجد أنها في أغلبها قد استخدمت هذا «المصطلح»، وقد اخترنا لذلك نموذجاً، وهو الكتاب الصادر تحت عنوان (مصر وأمن الخليج بعد الحرب ١٩٩٤م)، تحرير د. مصطفىٰ علوي، والمتضمن للدراسات والبحوث لندوة عقدت في الفترة ما بين ٢٧ و ٣٠ ديسمبر ١٩٩١م.

ففي المقدمة للمحرر د. مصطفى علوي، استخدم مصطلح «المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط» ص٥، وفي تلخيصه للدراسات قال: «أكد بعض المشاركين في الندوة على ضرورة النظر إلى أمن الخليج كجزء من النظام الإقليمي للشرق الأوسط، وخاصة أن تطورات مرحلة ما بعد حرب الخليج تصب في هذا الاتجاه، حيث تسعى الولايات المتحدة وقوى أخرى إلى بناء صيغة إقليمية للأمن في الشرق الأوسط، وتكون الدول العربية وإسرائيل جزءاً منها. . . »، وقد استخدم بعض من مقدمي الدراسات ـ وهم د. وحيد عبد المجيد، ود. جلال معوض، ود. نازلي معوض، وعميد أ. ح. مراد إبراهيم الدسوقي ـ المصطلح نفسه.

والخلاصة أن المصطلح قد تسلل، وأصبح معتمداً في التعبير عما يجري في المنطقة؛ دون أن يعني هذا بصفة محددة تبني المصطلح أو الترويج له.

ثانياً: وإذا كان الملاحظ أن استخدام تعبير (الشرق الأوسط) و(أزمة الشرق الأوسط) لم يبن عليه تغيير في المفهومات، وكان مجرد استبدال تعبير أو مصطلح بآخر؛ فإن المصطلح بعد بدء عمليات التسوية السياسية صار تعبيراً عن توجه استراتيجي، وصار مرتكناً إلى مشاريع تغيير للمنطقة، وأصبح استخدامه بديلاً للبدائل الأخرى (الصراع العربي ـ الصهيوني) مثلاً، أو هو بات مفهوماً موسعاً لإعادة ترتيب العلاقات في المنطقة، أو هو أصبح كلمة السر الخفية لاعتماد استراتيجية دمج الكيان الصهيوني في منظومة المنطقة. وكذلك ظهرت إلى جانبه مصطلحات «الشرق أوسطية» و«الشرق الأوسط الجديد» و«السوق الشرق أوسطية»، و«التعاون الإقليمي»، و«التوازن الإقليمي»، وبدأت أزمات المنطقة تلحق بعضها في التسمية بـ«الشرق الأوسط»؛ مثل «أزمة المياه في الشرق الأوسط»، و«نزع أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط».

ثالثاً: وضمن هذا التوجه الجديد وإعادة التسميات؛ أنشئت مراكز تسمى بالشرق الأوسط، ودوريات تحمل الاسم نفسه. . إلخ.

خاتمة:

يطرح مصطلح «الشرق الأوسط عدة قضايا، ترتبط بأبعاد الاستقلال الحضاري، وبالغزو الثقافي، وبدور النخبة في التعامل مع الاستخدامات الغربية للمصطلحات، كما ترتبط بعملية إعادة ترتيب الأوضاع في المنظومة العربية، وفي العالم الإسلامي؛ على أساس ترسيخ أوضاع الانقسام والتفكك واستمرارها، ويمكن إجمال ذلك فيما يأتي:

ـ أن ظهور المصطلح لم يكن له من جذور في الاستخدام العربي والإسلامي، بل كان تعبيراً عن تقسيمات للعالم في إطار الحقبة الاستعمارية.

ـ أنه لم يظهر إلا في فترة تدهور دولة الخلافة في شكلها الأخير (الدولة العثمانية)، وأنه لم يصبح قابلاً للاستخدام على نطاق واسع إلا بعد انهيار الدولة العثمانية.

ـ أن النخب العربية استخدمته في البداية بوصفه تعبيراً جغرافياً وتسمية للصراع العربي الصهيوني، في الوقت الذي كان الكيان الصهيوني يمهد لاستخدامه بوصفه مفهوماً شاملاً لتغيير هوية الصراع، ولإعادة ترتيب المنطقة؛ بإدخال هذا الكيان ضمن منظومة المنطقة.

ـ أن هذا المصطلح تحول ـ فيما بعد كامب ديفيد، وأوسلو ـ إلىٰ مفهوم شامل لإعادة ترتيب المنطقة، وتغيير هويتها، وتقسيم دولها.

ـ انبثق من هذا المصطلح وتحت ظلاله مفهومات أخرىٰ متعددة مثل «التعاون الإقليمي» و «السوق الشرق أوسطية» وغيرها.

مراجـع

ـ محمد عدنان مراد، المحيط الهندي والخليج بين الاستعمار البريطاني ومطامع أمريكا منذ الحرب العالمية الأولىٰ، وحتىٰ الوقت الحاضر ـ مجلة الفكر السياسي (دمشق) السنة الخامسة ـ العدد ١٥ ـ ص ٢٠٨.

ـ معن بشور، السلام والتطبيع، مجلة المستقبل العربي العدد ٢٠٩ ـ ٧/ ١٩٩٧م.